الظواهر الدلالية والتطور الدلالي في شروح لامية العجم للطُّغْرَائِي

أ.شقراء بنت هادي يحي حنتول
جامعة نورة بنت عبدالرحمن

الملخّص

تقوم الدراسة في مجملها على دراسة تحليلية تعتمد على شروح لاميَّة العَجَم في محاولة للكشف عن بعض الظواهر المعجمية والدلالية، وكان السبيل إلى ذلك من خلال استعراض شروح اللامية، ثم النظر في هذه المفردات والتراكيب، ومحاولة تركيز الضوء على الفروق بين الشراح في تناولهم لتحليل الأبيات، وانعكاس ذلك على فهم النص المدروس، وهو لاميَّة العَجَم للشاعر الطغرائي.

وقسمت الدراسة إلى قسمين؛ الأوَّل: يتناول الظواهر الدلالية، وفيه تمت دراسة أول شرحٍ للاميَّة وهو شرح العكبري، وأبرز شرح للاميَّة العَجَم وهو الغيث المسجم للصفدي، وإيضاح المبهم لأبي جمعة لأنه تميز بعدم اختصاره للغيث المسجم كما كان حال جميع الشروح التي جاءت بعد الغيث المسجم، وتناولتُ فيها أهم الظواهر الدلالية: الاشتراك اللفظي، الترادف، التضادّ.

والقسم الثاني تتبعت فيه تطور دلالات الألفاظ والتراكيب في شروح لاميَّة العَجَم وما حدث لهذه الألفاظ والمصطلحات من تغييرات دلالية عن طريق التغير الذي يصيب دلالات الألفاظ.

وخلصت الدراسة إلى إحصائيات وضعت للمقارنة بين الشراح في وقوع الظواهر لتحديد تكرار الظواهر المعجمية والدلالية لدى كل شارح على حدة، ثمّ ملاحظة وقوع هذه الظواهر للوقوف على ما يطرأ على المعنى المعجمي من غموض وتعدّد ونقص وكثرة احتمال، كما تستقصي الجداول الظواهر الدلالية مثل الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد، ومظاهر التطور الدلالي وأشكاله المتعدّدة، من انحسارٍ وضيقٍ وتوسع، وانتقالٍ من الانحطاط إلى السموّ، أو من السموّ إلى الانحطاط، وستكون نسبة التكرار بالنظر إلى عدد أبيات القصيدة، لتكون

عدداً واضحاً، والقصد من هذه النسبة الموازنة بين النسب لدى الشرّاح لملاحظة تفاوتهم في نسبة الظواهر في شروحهم.

فجاءت قصيدة لامية العجم مادة ثرة للدراسة المعجمية الدلالية، وذلك لعناية الشاعر بألفاظها، وحسن انتقائه لمفرداتها.

Abstract

Research Summary

Symmetrical Phenomena and Semantic Development in the Annotations of Lamia Al-Ajm Al-Taghrai, An Analytical Study

Summary:

This study is based on an analytical study based on the explanations of illiteracy in al-Ajam in an attempt to uncover some lexical and semantic phenomena. The way to this was by reviewing the most important explanations on the poem in terms of interest in the meaning and care of the semantic phenomena that are the subject of research. Vocabulary and compositions, and try to shed light on the differences in the semantic observed by each of the explanations and the extent of his attention to them analysis and explanation and a lesson in their analysis of the linguistic material in the explanation of the verses, and the reflection on the understanding of the text studied, which is the illiteracy of the poet Ajajar minister.

The study is divided into two parts; the first is dealing with semantic phenomena, in which the first explanation of illiteracy was studied. It is an explanation of al-Akbari and his method of explanation and his attention to the semantic level and issues related to the lexical sense. The abbreviation of the translated ghettos, as was the case with all the explanations that came after the Plague, and dealt with the most important phenomena Semantic: verbal participation, tandem, antagonism.

The second section traces the development of the meanings of the words and structures in the explanations of the illiterate Aljam and what happened to these words and terms and structures of changes in their meanings according to the context used in it, especially in the commentators of the poem, explaining the causes of the development of

semantic and its type, as well as means of semantic movement that led to the occurrence of metaphor or Metaphor, metaphor, or metaphor, and to show the original meanings and meanings acquired through the culture of the drawer, the environment, the cultural doctrine or the scientific term, or through the change that affects the meanings of words.

The study concluded that statistics were used to compare between the narrators in the occurrence of phenomena to determine the frequency of the lexical and semantic phenomena in each of the individual narratives, and then to note the occurrence of these phenomena to determine the meanings of the lexicon of ambiguity, multiplicity and lack of probability. The tables also examine the semantic phenomena such as tandem and verbal participation And the manifestations of the evolution of the semantic and its various forms, from the decline and narrowness and expansion, and the transition from decadence to high, or height to decay, and the frequency ratio in view of the number of verses of the poem, to be a clear number, and the intention of this ratio to balance the ratios in Note to the commentators Tvautem in the proportion of phenomena in their descriptions.

The study was based on the use of tables and graphs in the applied side to calculate the frequency and frequency ratios of the semantic development sites in the explanations and manifestations of that development, as well as the semantic and lexicological phenomena, the causes of their occurrence and the opening of horizons. New research and lesson

سيتناول هذا البحث بالتحليل والتعليل الظواهر الدلالية في شروح لاميَّة العَجَم، ويصبُّ اهتمامه على إبراز هذه الظواهر ومدى وقوف الشراح عليها وإدراكهم لمواضع التطور الدلالي التي أصابت الألفاظ حيث يرصد الظواهر الدلالية ويحللها ويوضح أسباب وقوعها وما حدث للمعنى من تغييرات كانت نتيجة وقوع الظواهر مثل الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد، وكذلك ما يحدث للألفاظ من تطور وتغير على مدار الأزمنة وما يحدث من احتكاك لغوي بين اللُّغة العربيَّة واللُّغات الأخرى مع مراعاة منطلق كلّ شارح ومنهجه الفكري والعقدي الذي تأثر به وأثر في تكوينه اللُّغويّ والثقافيّ وانعكاس البيئة عليه.

وللاميَّة العَجَم شهرة وذيوع في الدراسات الأدبية بشكل عام، وتُعدُّ من عيون الشعر العربي في القرن السادس الهجري لجودتها من الناحية البيانية فاحتلت الصورة فيها مكانة عالية، وكذلك التراكيب ورصانتها، والألفاظ ورشاقتها، والأسلوب ومتانته، فحازت إعجاب الكثرة الكاثرة من الأدباء والنقاد حيث صاغها الطُّغرائيّ على غرار لاميَّة العَرَب للشنفرى، وكذلك ساعدت مكانة الشاعر المرموقة في ذلك العهد على ذيوعها وشيوعها في الأوساط الأدبية والعلمية لما تشتمل عليه من حكم ومواعظ وخلاصة خبرات الشاعر البياني الكبير وما تقلبت عليه الأمور والصعاب التي عاركها فجاءت في ثوب من الحكمة والخبرة، وكيفية مواجهة الصعاب واختيار الصديق والعناء الذي تخلفه المناصب السياسية.

وكانت لاميَّة العَجَم للطُّغرائيّ (ت ٥١٤هـ) مادة ثرّة للبحث والدرس، وحظيت بشهرة كبيرة لدى الشراح والأدباء، وكأن الطُّغرائيّ صاغها على غرار لاميَّة العَرَب شكلاً وفناً وموضوعاً، مستخدماً الروي نفسه الذي بنى عليه الشنفرى قصيدته؛ ولذا ذاع صيتها باسم لاميَّة العَجَم نسبة لمولد صاحبها في أصفهان، أو لأنه نظمها في تلك البلاد[1]، كما أنه قالها في ظروف مشابهة لما كان

عليه الشنفرى، فقد سيطرت عليه حالة نفسية دفعته إلى هجر الناس واعتزالهم بسبب ما وقع عليه من أذى بعضهم، وما طالَه من كيد الوشاة، وكأنه يتمثل شخصية الشنفرى الذي اعتزل قبيلته واتخذ حيوانات البراري أهلاً له.

قال الطغرائيّ في بداية قصيدته:

فِـيْمَ الإِقامَـةُ بـالزَّورَاءِ لا سَـكِني بِهـا ولا نَـاقَتي فِيهـا ولا جَمَلِـي

ثمّ يقول:

فَلا صَـديقَ إليـهِ مُـشْتكَى حَـزَني وَلا أَنِـيْسَ إليـهِ مُنتَهَـى جَـذَلي

ولقد حظيت هذه القصيدة بشروحٍ كثيرة، ولقيت اهتماماً كبيراً من الأدباء والنحاة على حدٍّ سواء.

ومن الأسباب التي أدت إلى شهرة لاميَّة العَجَم أنها حظيت بتقدير مجتمعه، فالشاعر كان وزيراً وبلغت شهرته الآفاق، فتجلت شاعريته، بالإضافة إلى خبرته الطويلة في الحياة، فأودع في هذه اللاميَّة أفكاره وتجاربه وخبراته الواسعة.

ولهذه الأسباب مجتمعة عكف كثير من الشراح على شرحها وبيان ما فيها من كنوز كشفت عنها قرائحهم وزادهم الثقافي المتنوع.

ومن أبرز الشروح التي اهتمت بشرح لاميَّة العَجَم شرح العكبري (ت ٦١٦هـ) في القرن السابع الهجري، ثمّ شرح الصَّفَدي (ت ٧٦٤هـ) في القرن الثامن الهجري الذي كان فيه موسوعياً، وأظهر فيه قدرة على استيعاب العلوم على شتى اختلاف وتنوع مجالاتها فكان شرحه منهلاً عذباً وقف فيه البحث على استخلاص آرائه في وقوع الظواهر اللُّغوية لديه، وكذلك منهجه في الشرح ومواطن التطور الدلالي من اتساع الدلالة وتضييقها وانحطاطها، وكذلك يُعدُّ من

أوفى الشروح وأكثرها تفصيلاً وأوسعها إلماماً بما دار في لاميَّةِ العَجَمِ من مواضيع شتى ومتنوعة، ثم جاء شرح السيوطي (ت ٩١١هـ) في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ثمّ جاء شرح الحضرمي (ت ٩٣٠هـ). في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ثمّ جاء شرح أبي جمعة الماغوسي (ت ٥١٠١٦) في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين.

تنطلق هذه الدراسة من جانبين رئيسين:

الجانب الأول: ينظر في المادة العلمية في الشروح ومكوناتها نظرة متمعّنة من خلال التعليل والتحليل، والتصنيف، وهذا يمثل الشقّ النظري للدراسة.

أما الجانب الآخر فهو ينحى منحًى تطبيقياً، وهما الهدف الأساسي من الدراسة.

ويتمثل الجانب التطبيقي في استقصاء الظواهر المعجمية والدلالية، وتصنيفها وفق مقاييس النسبة والتناسب، ووفقاً لمعيار نسب التردّد والتكرار وفق معايير علمية ضابطة، ووضع ذلك كلّه في جداول تمثل الظواهر المعجمية والدلالية ظاهرة في كلّ شرح.

بالإضافة إلى وضع رسوم بيانية ومخططات تبين حالة كلّ ظاهرة وفق مقاييس المساحة التي تمثل الفروق التي بين تردد الظاهرة وتكرارها لدى كلّ شارح، خاصة ظواهر التطور الدلالي.

ويركز البحث على دراسة القضايا المعجمية والدلالية ومظاهر التطور الدلالي في شروح لاميَّة العَجَم، ورصد مواطن التطور الدلالي ومدى إدراك كلّ شارحٍ لها، ووظف البحث الجانب التطبيقي المتمثل في وقوع هذه الظواهر، والوقوف على شرح الأبيات بيتاً بيتاً والشواهد التي أوردها كلّ شارحٍ، وإبراز الانتقال الدلالي عن طرق المجاز والاستعارات والتشبيهات.

واستثمر البحثُ معطيات التفريق بين المعاني الحقيقية والمجازية في التطور الدلالي وتغيير المعنى عن طريق المجاز وعلاقاته المتنوعة وكان الصفدي يعرضُ وجهات نظر النحاة مناقشاً إياها موظفاً ما دقّ منها مع ما يلائم المعنى الذي أراده الشاعر، مستخدماً الجانب البلاغي المتمثل في الصور والتشبيهات والاستعارات والكنايات والمجاز الذي هو أداة رئيسة في نقل الدلالة.

وليس من الغريب أن يحظى شرحُ الصفدي بحظٍّ وافر من البحث لما أثاره من قضايا تحتاج درساً وبحثاً ومناقشةً؛ وذلك لما اشتمل عليه الشرح من مادة غزيرة نظراً للتكوين العلمي للشارح ومذهبه الفكري وإدراكه أثر الصورة في توضيح المعنى بالاستعارات والتشبيهات.

سيقفُ البحثُ على الفروق الدلالية بين شارح لآخر، وكذلك يرصد تطورات الألفاظ في دلالاتها والكشف عن الفروق الدلالية في الألفاظ من شارحٍ لآخر، وجاء في قمة هذه الشروح "الغَيثُ الـمُسْجَم في شَرحِ لاميَّة العَجَم" للصفدي (ت: ٧٦٤هـ) الذي تميز بالموسوعية والدقة.

ورصد البحثُ كيفية توظيف الصَّفَدي لمعطيات العلوم والفنون في الوقوف على معاني الألفاظ وتطور دلالاتها عن طريق التحليل والتعليل والمنهج المقارن الذي وظفه خير توظيف، والمنهج التقابلي الذي اكتسبه من ثقافته الفارسية وثقافته العربية في تفسير بعض الألفاظ، والقول بانتقال الدلالة خاصة الدلالة الاصطلاحية والتفريق بينها وبين الدلالة المعجمية التي كان يصدّر بها شرحه للبيت، موظفاً ما يطرأ على البنية من تغيّر، كذلك اعتماده على ما لديه من ثروة لغوية في متن اللُّغة، مع معجمه من اللُّغة الفارسية ومعجمه من اللُّغة التركية اللذين استعان بهما في بعض المواضع لتأصيل دلالات بعض الألفاظ، فكان يقول مثلاً في الزوراء بأنها

بَغْدَاد، سُميت بذلك لانحراف قبلتها، ويُقال: إن اسمها "بك دار"، ومعنى بك بالتركية: الرب، ودار: العادل. فكأنهم قالوا: الله العادل[٢].

وشرح البيت:

فَادْرَأْ بها في نُحُورِ البِيْــدِ جَافِلَــةً مُعَارِضَاتٍ مَثَــانِي اللُّجْــمِ بالجَــدَلِ

شرح الصَّفَدي معاني الكلمات الأجنبية وردّها إلى أصلها فقال إن: "اللّجْم: جمع لجام وهو فارسي معرَّب، وهو للخيل بمثابة الزمام للنوق"[٣].

كان الشارح يستعين بالكلمات المعرَّبة وينصُّ عليها، فله اهتمام بالألفاظ والتراكيب الفارسية مما يدلُّ على أنه يحمل معجماً فارسياً يقابل فيه اللفظة العربية بلفظة فارسية.

كما استخدم الصَّفَدي الصورة البيانية من تشبيهات واستعارات في تقريب المعنى والكشف عن انتقاله من الضيق إلى السعة بطريق الاستعارة أو التشبيه، وكذلك اعتمد المجاز أداة وظيفية للقول بالتطور الدلالي بطريق العلاقات المجازية، واكتساب الألفاظ معاني جديدة بطريق الاحتكاك اللُّغويّ بين العربية وغيرها من اللُّغات الأجنبية.

وكشف البحثُ عناية العكبريّ في منهجه وطريقة شرحه للاميَّة العَجَم، وأن أسلوبه لم يتغير عنه في شرحه للاميَّة العَرَب، ويُعدُّ أول شارح للاميَّة العَجَم، وقد اعتنى فيها بتفسير معاني المفردات والتراكيب، ووظّف أدوات تحديد المعنى تلك التي تتعلق بالمعنى المعجمي، وما يطرأ على البنية من تغييرات صرفية تؤدي إلى تغير المعنى، وذلك مثل العدد والنوع والتعيين، ووظّف المستوى النحوي في الإعراب وأدرك أهميته في توضيح المعنى، وصبّ اهتمامه على المستويات اللُّغوية واعتنى بالمعنى المعجمي، ولم يتعدّه إلى شرح المعنى العام للبيت إلا في مواضع نادرة، ونادراً

ما كان يوظف الجانب البلاغي في تقريب المعنى وتوضيحه إلا في مواضع محدودة في مثل شرحه للبيت:

وَدَعْ غِمَارَ العُلا للمُقْدِمِيْنَ عَلَــى رُكُوبِهَا وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بالبَلَلِ

ذكر العكبري أن "غِمَارَ العُلا: استعارة؛ لأن غماراً من صفات البحر، يُقالُ: بحر غِمار، أي هي مهولة"(٤).

أدرك أبو جمعة (ت ١٠١٦هـ) "إيضاحُ الـمُبْهَمِ من لامِيَّةِ العَجَم" أهمية دور السياق الاجتماعي في تحديد المعنى وتعيينه، ويمثل شرحه نقطة تحول كبيرة مقارنة بالشروح السابقة من خلال ما يأتي:

١- توظيفه السياق بجميع أنواعه وخاصة السياق الاجتماعي أو سياق الموقف.

٢- إدراكه وقوع ظاهرة التطور الدلالي بجميع أشكاله وأنواعه.

٣- توظيفه المجاز وعلاقاته في انتقال الدلالة انتقالاً يؤدي إلى تغيرها.

٤- اهتمامه بالمصطلحات وتصريحه أثناء الشرح بمصطلحات أصيلة بالتطور الدلالي، مثل: أصل الدلالة كذا ثمّ نقلوها إلى كذا، ومثل: توسعوا في كذا، أو: اتسع معناها إلى كذا.

٥- اهتمامه بالترادف والاشتراك اللفظي والتضادّ والظواهر الدلالية.

٦- ذكر علم الدلالة نصاً.

تتمثل أهمية الموضوع فيما يلي:

١- إبراز جهود شرّاح لاميَّة العَجَم، والكشف عن إدراكهم للظواهر الدلالية، ومواضع التطور الدلالي ومدى توظيف منجزات الدرس الدلالي الحديث ونظرياته التحليلية في تقييم شروحهم.

٢- الوقوف على المعجم اللُّغوي لدى كلّ شارح، والكشف عن مفرداته في ضوء قوانين التطور اللُّغوي عامة والتطور الدلالي بصفة خاصة بما يشمل معاني المفردات والتراكيب والعبارات في سياقاتها. الكشف عن الظواهر المعجمية في شروح لامية الطُّغرائيّ، إلى جانب دراسة شروحهم لمعاني كلماتها، وما ذكروه من مظاهر التطور الدلالي فيها، من ضيق وسعة وتسامٍ وانحطاط، وما فيها من كلمات أجنبية ومحدثة ودخيلة ومولدة.

٣- تُشكل المادة اللُّغوية في شروح لاميَّة العَجَم إضافةً إلى متن اللُّغة؛ لما اشتملت عليه من نصوص لغوية عالية، كما أنها مدعاة للدرس من الجانبين المعجمي والدلالي للكشف عن مناهج الشراح في معالجة الظواهر الدلالية المختلفة في اللامية.

٤- الحاجة إلى إبراز أهمية شروح لاميَّة العَجَم بسماتها واعتمادها على معايير محددة في الشرح وتناولها للقضايا التي طرحها الشاعر في الميادين المختلفة، من قضايا اجتماعية، وما يحتاجه ذلك من انتقاء ألفاظ تتلاءم مع هذه القضايا.

٥- الرغبة في دراسة تعتمد على الجانب التطبيقي في شروح لاميَّة العَجَم، وهو الجانب الذي يعتمد على الاستقصاء والإحصاء والتحليل وقياس تردد نسب الظواهر الدلالية، ومواضع تطور دلالات الألفاظ، والاستعانة بالجداول الإحصائية والرسوم البيانية التي تحول الدراسة النظرية إلى تطبيق.

٦- الحاجة إلى إبراز الجهود اللُّغوية لشراح اللاميَّة، وأثر المعجم اللُّغوي لكلّ شارحٍ في بروز الظواهر المعجمية والدلالية في شروحهم.

٧- الوقوف على مناهج شراح لاميَّة العجم في تناولهم لقضايا المعنى ومشاكله، والكشف عن أساليبهم في التفريق بين المعنى المعجمي والدلالات السياقية.

٨- ولمّا دفعني لهذه الدراسة الحاجة الماسة للمكتبة العربية إلى دراسات تجمع بين

النظرية والتطبيق، وتربط بين المعجم والظواهر الدلالية؛ لتساعد دون شكّ على فهم النصوص فهماً صحيحاً دقيقاً مما يُسهم في إحياء التراث اللُّغوي العربي وصناعة المصطلح العربي الموحد.

يعمل البحث على:

١- الكشف عن مناهج الشراح في النظر للمعنى المعجمي والسياق اللُّغوي الذي ترد فيه الألفاظ، وبيان مُصاحباتها اللُّغوية، والإشارة إلى الظواهر الدلالية التي استخدموها كالتضادّ والترادف والاشتراك اللفظي، وتمييز استعمال كل شارح من الشراح للفظة الواحدة، والإشارة إلى انفراد بعضهم في استعمال لفظة معينة دون غيرها، والتفريق بين استعمالهم الألفاظ في معانيها الحقيقية والمجازية.

٢- الكشف عن الكلمات التي حدث لها تطور دلالي، مع النظر إلى معانيها المعجمية ودلالاتها الاصطلاحية ومعانيها في الاستعمال، وهو ما يساعد على تفسير العلاقة بين المادة اللُّغوية في المعجم والسياق الذي تُستخدم فيه.

٣- استنباط الصِّلات بين الألفاظ ودلالاتها، ومعناها المركزي والمعنى الهامشي لهذه الألفاظ.

٤- تطبيق النظريات الدلالية الحديثة في دراسة نصوص شعرية تراثية، وإبراز جهود العلماء بالكشف عن الظواهر المعجمية والدلالية في المعنى في تلك النصوص.

أولاً: الظواهر الدلالية:

سيعرض البحثُ الظواهر الدلاليّة التي وقعت عند الشراح موضوع البحث، إذ تمثل الظواهر الدلالية جزءاً مهمًّا يتبناه علم اللُّغة الحديث في دراسة الدلالة وهو ما يُعرف بعلم الدلالة التركيبي.

والعلاقات الدلالية تهتمّ بتعدد دلالات الكلمة وتشابك هذه العلاقات، وتقف على الجانب الغامض منها[٥].

وتنطلق دراسة العلاقات الدلالية من أن المعنى الأساسي المعجمي للكلمة يمكن ردّه إلى عناصره الأولية حيث تبدأ العلاقة الدلالية بين الكلمات المتقاربة في المعنى، وهذا التقارب يؤدي إلى وجود هذه العلاقة في أي لغة من اللُّغات البشرية الطبيعية.

ومن مميزات الدراسات الحديثة في الدرس الدلالي أنها تُمكن من معرفة دلالة الألفاظ بطبيعة العلاقات الإيجابية والسلبية بين الكلمة والكلمات الأخرى (نظرية السياق).

وجدت العلاقات الدلالية اهتماماً كبيراً لدى علماء العربية القدامى ومن أبرز من أشار إلى ذلك سيبويه (ت:١٨٠هـ)، وظاهرة العلاقات الدلالية تتحقق في صورتين اثنتين، فيرتبط عدد من الألفاظ بمدلول، أو يكون الارتباط بين مدلولات عدة ولفظ واحد[٦]. وفي هذا الشأن قال سيبويه: "هذا باب اللفظ للمعاني: اعلم أنّ من كلامهم اختلافَ اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظين والمعنى واحدٌ، واتفاقَ اللفظين واختلافَ المعنيين. فاختلافُ اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ، نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدتُ عليه من الـمَوْجِدة، ووجَدت إذا أردت وُجْدان الضّالّة، وأشباه هذا كثيرٌ"[٧].

تتجلى الحالة الأولى التي قررها سيبويه في أصل اللغة ووجه القياس الذي يجب أن تكون عليه الألفاظ، وهو أغلب كلام العرب، أن تكون الألفاظ مختلفة باختلاف المعاني، فتنفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس، وأما الحالة الثانية فقد أطلق عليها علماء العربية مصطلح الترادف، وأما الحالة الثالثة فاصطلحوا على تسميتها

المشترك اللفظي، وقد قسمه بعضهم إلى ما يقع على ضدّين كالجون (يطلق على الأبيض والأسود)، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين[٨].

ويبدأ الجانب التطبيقي، وذلك بتحديد المواضع التي استخدم فيها شراح لامية العَجَم الظواهر الدلالية لإيضاح المعاني مثل:

١- الاشتراك اللفظي:

ورد في بيت الطغرائيّ:

وَدَعْ غِمَارَ العُـلا للمُقْـدِمِيْنَ عَلَـى رُكُوبِهَـا وَاقْتَنِـعْ مِـنْهُنَّ بالبَلَـلِ

حيث ذكر السيوطي أن " غمار: جمع غَمْر، وأصله الماء الكثير، ومعظم البحر، وهو كناية عن التوسع في المعالي المؤدّي إلى المشقة.."[٩].

ومن هنا يتبين نقل المعنى عن طريق الكناية في كلمة (غِمار) اشتراك لفظي فالدلالة المركزية[١٠] في كلمة (غِمار) هي الماء الكثير بينما الدلالة الهامشية التي نقلت عن طريق الكناية تعني التوسع في المعالي وذلك حسب مراد الشاعر.

وفي البيت:

تَنَامُ عَنِّـي وَعَـيْنُ الـنَّجْمِ سَـاهِرَةٌ وَتَـسْتَحِيْلُ وَصُـبْغُ الليـلِ لَـم يَحُـلِ

ذكر الصفدي أن (العين) حاسَّة الإبصار وهي مؤنثة، ومنه قيل للجاسوس: ذو العينين[١١].

وهنا اشتراك لفظي صرح به الصفدي فالعين تأتي للدلالة على الجاسوس وعضو الإبصار.

قال الطغرائيّ:

وَلا أَهَابُ الصِّفَاحَ البِـيْضَ تُـسْعِدُنِي بِـاللمْحِ مِـنْ خِلَـلِ الأَسْـتَارِ وَالكُلَـلِ

ذكر الصفدي استعمال الصِّفاح مشتركاً لفظياً بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازاً، ثم غلب العُرْف عليها عند الشعراء فصارت حقيقة عرفية، ثم أوضح أن قوله "ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ" يوهم السامع أنه يريد الحقيقة اللغوية، لكنه ترك المفهوم الأول وأخذ في المفهوم الآخر فقال:" تُسعدني باللمح من خلل الأستار والكلل" فاستعمل الصفاح في العيون، وهي الحقيقة العرفية(١٢).

وذكر الصفدي قول الشاعر:

إذا نزلَ السماءُ بأرضِ قومٍ رَعيناهُ وإن كانوا غِضابا

وذكر أن كلمة السماء تستعمل للمطر والنبات، فاستخدم في قوله: نزلَ السماء، للدلالة على المطر، واستخدم في قوله: رَعيناهُ، للدلالة على النبات، ومع أنه حقيقة ومجاز إلا أنّه كثر استعمال مجازه حتى صار حقيقة عرفية، ومن هنا فهي اشتراك لفظي(١٣).

في البيت:

حُبُّ السَّلامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ عَنِ المَعَالِي وَيُغْرِي المرْءَ بِالكَسَلِ

قال الصفدي في شرحه: "الهمّ: العزم والإرادة، همت بالشيء أهم همًّا وهو المراد هنا، والهمّ أيضاً الحزن"(١٤)، فالهَمّ يأتي بمعنى العزم والإرادة وبمعنى الحزن، وهذا اشتراك لفظي.

قال الطغرائيّ:

وَإِنْ عَلانِي مِنْ دُونِي فَلا عَجَبٌ لِي أُسْوَةٌ بانحطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

ذكر الصفدي أن العُلُوّ هنا العُلُوّ في المكان، وأيضاً يأتي بمعنى الشرف، ويكون بالكسر عِلاء وعَلا يَعْلِي واستشهد بقول الشاعر:"لما عَلا كعبُك لي عَليت" وجمع بين اللُّغتين، وعَلُوت الرجل: غلبته[١٥].

ومن هنا نستخلص أن العُلوّ له ثلاثة معانٍ: العلو في المكان، والشرف، والغلبة والانتصار، وهذا اشتراك لفظي، لفظ واحد ومعانٍ متعددة.

في البيت:

غَاضَ الوفَاءُ وَفَاضَ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ مَسَافَةُ الخُلْفِ بَينَ القَوْلِ والعَمَلِ

فسر الصفدي غيض الوفاء بنقصه أو غيابه أو ذهابه بين الناس، وهذا يدلُّ على أن الوفاء له معانٍ متعددة، من النقص وهو بخلاف الغياب، والغياب بخلاف الذهاب لأن النقص لا يعني أن الوفاء انتهى بين الناس، بينما الغيابُ يعني انتهاء الوفاء، وقد يعني الذهاب أن يحتمل العودة بين الناس وهذا اشتراك لفظي وإن لم ينصّ الصفدي عليه. وفسّر كلمة (فاض) بـــ: اشتهر، وزاد، وشاع، ولعل الصفدي أراد بالعطف هنا التعدّد، فالمعنى الأول: أنه اشتهر، والمعنى الثاني أنه زاد بين الناس، والمعنى الثالث أنه شاع، ولعل هذا من الاشتراك[١٦].

وذكر أبو جمعة أن (الخُلف): كَذِبُ الرجل في وعده، أو من أخْلَفَت الناقة، إذا لم تلقح، والنجوم إذا لم تمطر[١٧]، وهذا يعني أن اللفظ له عدة معانٍ بحسب اختلاف السياق اللُّغوي التركيبي، فأخلفت الناقة: لم تلقح، وأخلف الرجل: كَذِبَ في وعده، وأخلفت النجوم: لم تمطر، ولكنه ألـــمَحَ بإدراك أثر السياق الاجتماعي واللُّغوي في تحديد قوله :"والكلُّ قريب" أي المعاني متقاربة.

في البيت:

إنْ كانَ ينجَعُ شَيءٌ في ثَبَاتِهِمُ على العُهُودِ فَسَبْقُ السَّيفِ للعَذَلِ

قال الصفدي في معنى: نَجَعَ في فلان الوعظ: أي دخلَ وأثَّر، ونجع الدواء، إذا أفاد[١٨].

وهو اشتراك لفظي فقد ذكر للفعل (نجع) معنيين، وكأنه أراد تفسير اللفظ الوارد في البيت بالمعنى الأول.

في البيت:

فَسِرْ بِنَا في ذِمَامِ الليلِ مُعْتَسِفًا فَنَفْحَةُ الطِّيْبِ تَهدِينا إلى الحُلَلِ

فسّر أبو جمعة (النَّفْحَة) بالـــمَرّة من: نَفَح الطيبُ نَفْحاً، إذا فاحَ نَشْره وتضوّع ريحه، أو من: نَفَحَت الريحُ، إذا أقبلت باردةً[١٩]، فالنفحة فيها اشتراك لفظي، فمعناها الأول: الرائحة الطيبة، والثاني: إقبال الريح الباردة.

قال الطغرائيّ:

فَالحُبُّ حَيْثُ العِدَا وَالأُسْدُ رَابِضَةٌ حَوْلَ الكِنَاسِ لها غَابٌ مِنَ الأَسَلِ

فسر أبو جمعة معنى الغاب بالغابة الأجمة التي تسكنها الأسود، وجميع ما يغيب فيه الشيء يسمى غابَته[٢٠]، فهو مشترك لفظي.

وذكر من معاني كلمة (الأَسَل): الرماح، ونبات طويل لا أوراق له تُعمل منه الحُصُر، وهو المعنى الأصلي، ثم نُقل إلى الرماح[٢١]، وهو اشتراك لفظي.

قال الطغرائيّ:

نَؤُمُّ نَاشِئَةً بالِجزْعِ قَدْ سُقِيَتْ نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ وَالكَحَلِ

ذكر أبو جمعة أن معنى (الجِزْع)بكسر الجيم تطلق على منعطف الوادي، أو منقطعه، أو وسطه، وقيل لا يُسَمَّى جِزْعاً إلا إذا اتَّسع ونبت فيه الشجر، واستعان

أبو جمعة بما جاء في القاموس من أن الجِزْع يطلق على قرية عن يمين الطائف والأخرى عن شمالها(٢٢)

هنا اشتراك لفظي في (الجِزْع) فهو يُطلقُ على منعطف الوادي أو وسطه، وبعضهم يخصّه بالمكان الذي يتّسع وينبت فيه الشجر، وكذا يُطلق على قرية على يمين الطائف وقرية عن شمالها.

في البيت:

فَإنْ جَنَحْتَ إلَيْهِ فاتَّخذْ نَفَقًا في الأَرْضِ أَو سُلَّمًا في الجَوِّ فَاعْتَزِلِ

شرح أبو جمعة الاعتزال بالانتحاء جانباً، وفسرها أيضاً بالاعتزال، أي من يترك الدخول مع أهل اليسر(٢٣).

وهنا مشترك لفظي وذلك لأن الشارح ذكر له معنيين، فالمعنى الأول عامّ والثاني خاصّ، مع تقارب المعنيين.

قال الطغرائيّ:

رِضَا الذَّلِيلِ بِخَفْضِ العَيْشِ مَسْكَنَةٌ وَالعِزُّ عِنْدَ رَسِيْمِ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ

فسر أبو جمعة معنى (العزيز) بالقوي الذي لا يُطاق، أو القليل الذي لا يكاد يوجد(٢٤).

هنا اشتراك لفظي فللعزيز معنيان: القوي، والقليل الذي لا يوجد.

في البيت:

هَذَا جَزَاءُ امْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الأَجَلِ

ذكر أبو جمعة في كلمة (دَرَج) عدة معانٍ منها: ذهبوا واحداً بعد واحد، والمعنى الآخر: دَرَجَ الرجلُ، إذا مات، وانتهى أجله، والمعنى الثالث: إذا مات ولم يُخلّف نسلاً[٢٥].

حيث يظهر الاشتراك اللفظي في اللفظة لاختلاف معانيها وتعددها باختلاف سياقاتها، فالدلالة المركزية لها (الموت) والدلالات الأخرى لها: الذهاب واحداً واحداً، والموت دون نسلٍ بعده، فاختلاف المعاني هنا واضح لا لبس فيه.

في البيت:

أصالةُ الرأي صَانتني عَنِ الخَطَلِ وحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْني لَدَى العَطَلِ

فسر أبو جمعة معنى كلمة (الخَطَل) بالخطأ، والفُحْش، والحُمْق، والخَرَف حينما تضطرب أحوال من وصف به[٢٦].

ففي الكلمة اشتراك لفظي: الخطأ والفُحْش والخَرَف والحُمْق، وبينها فروق كثيرة في المعنى[٢٧].

قال الطغرائيّ:

لَعَلَّ إلمامَةً بالجزْعِ ثَانِيَةً يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيْمُ البُرْءِ في عِلَلِي

وجاء تفسير الصفدي لكلمة (دبَّ) بمعنى مَشَى ودَرَج، ودَبَّت العقربُ، إذا سَرَحَت من جحرها ليلاً[٢٨]، فهما معنيان: عامّ للمشي بعامّة، ولمشي العقرب ليلاً.

في شرح البيت:

مُلْكُ القَنَاعَةِ لا يُخشَى عَلَيه ولا يُحتَاجُ فيهِ إلى الأَنْصَارِ وَالخَوَلِ

ذكر الصفدي للخَوَل معانٍ منها: الخَشَم، والعَبْد والأَمَة، والرُّعاة[٢٩].

فالكلمة لها ثلاثة معان، فهو اشتراك لفظي.

قال الطغرائيّ:

فَادْرَأْ بها في نُحُورِ البِيْدِ جَافِلَةً مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي اللُّجْمِ بالجَدَلِ

فسر الصفدي الجافل بالمسرع، والمعنى الثاني: المترعج، والمعنى الثالث: الريح المسرعة[٣٠]، ويتبين وقوع الاشتراك اللفظي في (جافِل)، إذ لها ثلاثة معانٍ مختلفة، معنى عامّ وهو السرعة، ومعنى خاصّ بالريح، ومعنى آخر المترعج.

في شرح البيت:

وَإِنْ عَلانِي مَنْ دُونِي فَلا عَجَبٌ لِي أُسْوَةٌ بانحطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

فسر الصفدي كلمة (التَّزَحّل) عند ذكره اشتقاق زُحَل من التَّزَحّل، فهي تعني التنحّي والتباعد، وكذلك البطء في السير[٣١]، وهنا وقع اشتراك لفظي.

قال الطغرائيّ:

فَسِرْ بِنَا في ذِمَامِ الليلِ مُعْتَسِفًا فَنَفْحَةُ الطِّيْبِ تَهدِينا إلى الخُلَلِ

ذكر أبو جمعة لكلمة (مُعْتَسِف) المعاني الآتية منها: السائر إلى قصده من غير هداية، أو الراكب للمفازة بغير قصد ولا هداية، والمعنى الثالث الراكب للأمر بلا تدبير[٣٢]، وهذا اشتراك لفظي.

في البيت:

مَا كُنْتُ أُوْثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بي زَمَني حَتَّى أَرَى دَولَةَ الأَوغَادِ وَالسَّفَلِ

ذكر أبو جمعة خمسة معانٍ لكلمة (وَغْد): الأحمق، الضعيف، الرَّذِيل، الدنيء الأصل، الذي يخدم القوم بطعام بطنه[٣٣]، ومن هنا يتبين وقوع الاشتراك اللفظي في الكلمة.

في البيت:

وَيَا خَبِيْرًا عَلَى الأَسْرَارِ مُطَّلِعًا اصْمتْ ففي الصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ

ذكر أبو جمعة لــ (الزَّلَل) معنيين: السقوط في الطين، والسقوط في الكلام[٣٤].

والمعنيان مختلفان لهذا وقع الاشتراك اللفظي مع أن الدلالة المركزية هي (السقوط)، لكن السقوط الأول حسّي، والثاني معنويّ.

قال الطغرائيّ:

وَلا أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيْضَ تُسْعِدُنِي بِاللمْحِ مِنْ خِلَلِ الأَسْتَارِ وَالكُلَلِ

قال الشارح في شرح هذا البيت:

وأنشدت لرشيد الدين الفارقي:

إنّ في عينيـــــك معـــــنى حَـــــدَّث النَّـــــرجسُ عَنْـــــهُ

لَيْتَ لِي من غَضّه سَهْـــــــ ـــــــماً ففـــي قَلـــبي مِنْـــهُ

ذكر الصفدي لــ (الغَضّ) معنيين: أحدهما غضّ الطرف أي كسره إلى أسفل، والآخر الطراوة، وقصد بالمعنى الأول العين، وبالآخر النرجس[٣٥]، وهذا اشتراك لفظي.

في البيت:

غَاضَ الوفَاءُ وَفَاضَ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ مَسَافَةُ الخُلْفِ بَينَ القَوْلِ والعَمَلِ

قال أبو جمعة في إيضاح المبهم:"المسافة: البعد أو اسم مكان للهلاك، لأنّها من ساف الدليل سوفاً، إذا شمَّ التراب في الفلاة ليعلم أعَلى قصد هو، أو اسم مكان للهلاك لأنَّ المسافة قد تكون سبباً للهلاك"[٣٦].

ذكر أبو جمعة معنيين للمسافة: البعد، واسم مكان للهلاك خاصة في الفلاة، وهذا اشتراك لفظي.

في البيت:

فِيْمَ اقْتِحَامُكَ لُجَّ البَحْرِ تَرْكَبُهُ وَأَنْتَ تَكْفِيْكَ مِنْهُ مَصَّةُ الوَشَلِ

ذكر أبو جمعة بأنَّ (اللُّجّ) هو الماء الكثير، وهو السيف[٣٧]، وهذا اشتراك لفظي.

في البيت:

إنْ كانَ ينجَعُ شَيءٌ في ثَبَاتِهِمُ على العُهُودِ فَسَبْقُ السَّيفِ للعَذَلِ

فسر أبو جمعة كلمة (العَهْد) بأنها اليمين أو الذمَّة والوصيَّة والحفاظ[٣٨]، فهنا اشتراك لفظيّ في كلمة العَهْد لدلالته على عدة معانٍ.

٢-الترادف:

قال الطغرائيّ:

لَعَلَّ إلمامَةً بالجزْعِ ثَانِيَةٌ يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيْمُ البُرْءِ في عِلَلِي

ذكر الصفدي في كلمة (لعلَّ) معاني كثيرة منها الترجي ومنها أيضاً أنها تأتي بالغين المعجمة (رغنّ) وكذلك (لغنّ)، وفي (لعلّ) و(لغنّ) ترادف من حيث إنهما شيء واحد وألفاظ عدة، حيث ذكر الشارح عدة لغات في هذه الكلمة ومنها أيضاً: (علَّ)، و(لعنّ)، و(عنّ)، و(لأنَّ) ، و(أنّ) و(رعنّ)، و(رغنّ) ، و(لغنّ)[٣٩].

وربما ترجع هذه اللُّغات إلى اختلاف اللهجات حيث يُعدُّ سبباً رئيساً لوقوع الترادف.

في البيت:

وَإِنْ عَلانِي مَنْ دُونِي فَلا عَجَبٌ لِي أُسْوَةٌ بانحطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

حدّد الصفدي معنى كلمة (الشمس) عن طريق التعريف فهي الكوكب النهاري المعروف، وذكر لها أسماء كثيرة منها: ذكاء، ومنها الجارية، ومنها الجونة، ومنها الغزالة[٤٠].

وهذا من الترادف، وذكر أيضاً أنَّ من أسماء الشمس مهر، ومن أسماء الزهرة: أناهيد، وبيداخت، وأضاف أيضاً أسماء متعددة لعطارد، منها: الهرمس والكاتب، ومن أسماء القمر: الزبرقان، والزمهرير، والفاسق، والوباص، والمتّسق، والباهر والسنّمار، والطوس، والحكم، وأضاف إلى ذلك أسماء أخرى لزحل، منها: المقاتل، والمريخ: الأحمر[٤١]. وهذه الألفاظ الخاصة بكل كوكب تعدُّ ألفاظاً مترادفة.

في البيت:

هَذَا جَزَاءُ امْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الأَجَلِ

قال أبو جمعة:"تَمَنَّى الشيءَ تَمَنّياً، إذا أراده، ومنّاه إياه وبه تَمْنِية، والـمُنْيَة والأُمنية كلُّه بمعنى"[٤٢]

وعليه فالـمُنْيَة والأُمْنِيَة مترادفان.

في البيت:

مَا كُنْتُ أُوْثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الأَوغَادِ وَالسَّفَلِ

ذكر أبو جمعة في تفسيره للفظة (الدَّوْلَة) أنها: "مصدر دالتهم الأيام وأدالتهم إذا صيَّرت الدولة إليهم في الخير والحظ وأما الدُّولة بضم الدال فهي الشيء المتداول وقيل هما مترادفان والجمعُ دوَل"[٤٣].

هنا ترادف بين الدَّوْلة والدُّولَة على رأي من يرى ذلك.

٣-الأضداد:

قال الطغرائيّ:

فَقُلْتُ: أَدعُوكَ للجُلَّى لِتَنْصُرَنِي وَأَنْتَ تَخْذِلُنِي في الحَادِثِ الجَلَلِ

ذكر العكبري في تفسيره معنى (الجُلَّى) أنها الأمر العظيم، وأنها الأمر الحقير أيضاً[٤٤]، وصرّح الصفدي كذلك أنها من الأضداد فتأتي للأمر العظيم، والهيّن[٤٥].

وذكر أبو جمعة أن (الجَلَل) من الأضداد باستشهاده ببيت امرئ القيس:

بنو أسد قتلوا ربهم ألا كلُّ شيء سواه جَلَل

أي حقير غيرُ ملتفت إليه، ويُطلق ويراد به العظيم أيضاً[٤٦].

في البيت:

تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوطُهُمُ وَرَاءَ خَطْوِيَ إِذْ أَمْشِي عَلَى مَهَلِ

فسّر الصفدي (وراء) بمعنى خَلْف، وتأتي بمعنى أمام، أي أمامهم[٤٧]، وكذا أبو جمعة ذكر أن وَراء تأتي بمعنى قُدَّام الشيء، وبمعنى خلفه[٤٨].

ومّما سبق يتبين أن كلمة (وراء) من الأضداد بحسب ورودها في السياق.

قال الطغرائيّ:

مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلاً شَرَعٌ والشَّمسُ رَأدَ الضُّحى كالشَّمسِ في الطَّفَلِ

شرح أبو جمعة معنى كلمة (الطَّفَل) بفتحتين أنها تعني وقت العشي إذا مالت الشمس للغروب، وتعني أيضاً إذا دنت الشمس من الطلوع، وصرَّح الشارح أنّ (الطَّفَل) من الأضداد، وذكر أن المراد هنا الأوَّل[٤٩].

في البيت:

يُشْفَى لَدِيْغُ العَوَالي في بُيُوتِهِمُ بِنَهلةٍ مِنْ غَدِيرِ الخَمْرِ وَالعَسَلِ

فسر أبو جمعة معنى لفظة (النَّهْلَة) مصدر: نَهِلَت الإبل أي رويت من الماء، وإذا عَطِشت أيضاً، والكلمة من الأضداد[٥٠].

في البيت:

تَرْجُو الخلود بِدَارٍ لا ثَبَاتَ بِهَا فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ

فسر أبو جمعة معنى الرجاء في البيت بأنّه ضدّ اليأس، وذكر مجيء الرجاء في مثل الآية الكريمة "ما لكم لا ترجون لله وقاراً" للخوف من الشيء[٥١]، وعليه يأتي الرجاء بمعنيين متضادين.

ثانياً: التطور الدلالي في شروح لامية العجم.

سأتتبعُ مواضع تطور دلالات الألفاظ والتراكيب في شروح لاميَّة العَجَم على أن نكشف من خلال المنهج التاريخي ما أحدثته الحضارة الإسلامية واحتكاك العرب بغيرهم من الأمم الأخرى وما حدث لهذه الألفاظ والمصطلحات من تغييرات دلالية عن طريق التغيير الذي يصيب دلالات الألفاظ (مفردة أو مركبة) في لغة ما عبر عصورها المختلفة، متى توافرت الدواعي أو الأسباب التي تؤدى إلى ذلك[٥٢].

سأتناول التطور الدلالي في هذا المبحث بناء على قسمين:

القسم الأول: ما ذكره الشراح صراحة بقولهم (توسّع- اتسع- والأصل فيه كذا).

القسم الثاني: ما جاء عن طريق النقل بالمجاز والاستعارة والتشبيه، أي النقل من مجال إلى آخر، فالاستعارة والتشبيه والمجاز وسائل نقل أضافت معاني جديدة ترقى لأن تدرج في نطاق التطور الدلالي.

القسم الأول: التطبيق على نماذج التطور الدلالي فيما ذكره الشراح صراحة بقولهم (توسع–اتسع– والأصل فيه).

من الأمثلة على تطوّر المعنى صراحة، ما ورد تحت قول الطغرائيّ:

نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكفِّ مُنفَرِدٌ كالسَّيفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ الخِلَلِ

ذكر العكبري في تحليله لكلمة (الصِّفْر) أنها بمعنى الخالي(٥٣).

فسر الصفدي بأن كلمة (الصِّفْر) تُطلق على البيت الخالي من المتاع، وأن أصْفَر البيوت من الخير البيت الصِّفْر من كتاب الله عزَّ وجلَّ، وقد صَفِرَ الرجل بالكسر واصْفرّ فهو مُصْفَرّ، أي افتقر. والصَّفارِيت: الفقراء(٥٤)، وذكر السيوطي أيضاً الصِفْر بمعنى الخالي(٥٥).

وذكر الحضرمي أن الأصفار الموضوعة في مراتب الأعداد الخالية عن نوع العدد(٥٦).

ومن هنا يمكن القول بوقوع التطور الدلالي في كلمة (الصِّفْر) فالشاعر أطلقها على (الكَفّ) الخالي، وأصبح معناها الفقر ومصفر اليدين، ثم ذكر الحضرميّ إطلاق اللفظ على الصِّفْر الذي يُستعمل في الأعداد للمرتبة الخالية من العدد، وهذا تطور دلاليّ حدث بعد إطلاق هذا اللفظ على هذه المرتبة في حقل الأعداد، ولا شكّ أنّ فيه تخصيصاً، فدلالته العامّة: الخالي، وهي الأصل.

قال الطغرائيّ:

فَالحُبُّ حَيْثُ العِدَا وَالأُسْـدُ رَابِـضَةٌ حَوْلَ الكِنَاسِ لهـا غَـابٌ مِـنَ الأَسَـلِ

خلص الصفدي في معنى (الأسَل) إلى أنّها الرماح، وهذا ما أراده الشاعر، ولكن المعنى الحقيقي الأساسي فيها نبات طويل له شوك، فقد صَرّح الشارح بذلك فقال: "وأصل الأسَل نبات طويل له شوك"، ومن معاني كلمة الأسَل أسَلَة اللسان وأسَلَة الذراع، وتُطلق على الطرف أو على ما استدقّ منهما[٥٧].

ويظهر هنا ما حدث لهذا اللفظ من تطور دلالي على مدار ما مرّت به من تاريخ، فقد انتقلت من دلالتها الأصليّة على النبات الطويل ذي الشوك، وانتقلت إلى الرماح، وأسلة اللسان والذراع وهي طرفه ومستدقه[٥٨].

وأكّد أبو جمعة وقوع التطور الدلالي وذلك أن الكلمة وضعت في أساسها للنبات الطويل، واستشهد بكلام الفيروز آبادي أن اللفظة تُطلق على النبات الطويل ثم نُقل المعنى إلى الرماح، قال: "الرماح وهو اسم جنس واحده أسَلَة، وأصْله على ما ذكره صاحب القاموس أنه نبات طويل لا أوراق له تُعمل منه الحُصُر، فنقلوه إلى الرماح"[٥٩].

في البيت:

طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّـى حَـنَّ رَاحِلَتِـي وَرَحْلُهـا وَقَـرَى العَـسَّالةِ الـذُّبُلِ

فسر العكبري لفظ (الاغتراب) بالغيبة[٦٠]، وشرحها الصفدي بأنها من الغُرْبَة، وذكر معنى ثانياً أن الاغتراب التزويج من غير أقاربه[٦١]، وهذا فيه تغير في المعنى، فالدلالة المركزية (البُعْد)، ثمّ تطور معنى الكلمة إلى الزواج بغير الأقارب، وذلك في الحديث:" اغْتَرِبوا لا تَضْوُوا".

في البيت:

وَالرَّكْبُ مِيْلَ عَلَى الأَكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ صَاحٍ، وَآخَرَ مِنْ خَمْرِ الكَرَى ثَمِلِ

ذكر أبو جمعة أن (آخَر) اسم تفضيل، والمؤنث أُخْرى، والجمع أُخَر، وكان معناه في الأصل: أشدّ تأخراً من غيره، في معنى من معانيه، ثمّ نُقِل إلى معنى الغير مطلقاً[٦٢].

في البيت:

وَإِنْ عَلانِي مَنْ دُونِي فَلا عَجَبٌ لِي أُسْوَةٌ بانحطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

وضح أبو جمعة معنى (دُون) في البيت فقال: "(دونَ) أصلها أدنى مكان من الشيء، يُقال: هذا دون ذلك، إذا كان أحطَّ منه قليلاً، ثم اتُّسِع فيه إلى أن استعمل في كلّ تجاوز إلى غيره"[٦٣].

ظاهرة دلالية صرح بها الشارح في اتساع المعنى بعد ضيقه، فقد كان المعنى ضيّقاً لدلالته على الأدنى أي الأحطّ منه قليلاً، ثم اتُّسع فيه إلى كل تجاوز إلى غيره.

في البيت:

وَدَعْ غِمَارَ العُلا للمُقْدِمِيْنَ عَلَى رُكُوبِهَا وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بالبَلَلِ

قال السيوطي:" غِمار: جمع غَمْر، وأصله الماء الكثير، ومعظم البحر، وهو كناية عن التوسع في المعالي المؤدِّي إلى المشقة.."[٦٤].

ومن هنا يتبين نقل المعنى عن طريق الكناية، فالدلالة المركزية هي الماء الكثير، بينما الدلالة الهامشية التي نُقل إليها عن طريق الكناية تعني التوسّع في المعالي كما أراد الشاعر.

ومن أنواع تطوّر المعنى ما يخصّ سياقاً معيّناً عن طريق النقل بالمجاز والاستعارة والتشبيه، فتتغيّر دلالة اللفظ في سياق خاصّ بحسب قصد المتكلّم، ومع ما قد يذهب إليه بعض الباحثين من أنّ هذا التغيّر مؤقت ومرتبط بسياق معيّن، لكن اللغويّين من يرى أنّه من التطوّر الدلاليّ، ومفهوم التطور الدلالي عند المحدثين أنه:" يدرس اللُّغة من حيث أنها كلماتٌ تدلُّ على معانٍ، وأنه يدرس العلاقة بين الرمز اللُّغوي ومعناه، ويدرس كذلك تطور معاني الكلمات تاريخياً، ويدرس أيضاً المعاني والمجاز اللُّغوي، والعلاقات بين الكلمات في اللُّغة الواحدة"[٦٥].

فالقسم الثاني من التطور الدلالي ما جاء عن طريق المجاز والاستعارة والتشبيه، أي النقل من مجال دلالي إلى مجال آخر، فالكلمات تكتسب بالانتقال مجالاً دلالياً جديداً وفق تحديد القرينة.

وذكر بعض اللُّغويين المحدثين أسماء كثيرة لمصطلح انتقال الدلالة، فأطلق بعضهم عليه مجال الاستعمال[٦٦]، أو نقل المعنى[٦٧]، أو انتقال المعنى من مجالٍ لآخر[٦٨]، وقد حاول بعض الباحثين حصر مظاهر التغير الدلالي في هذا المظهر، فيرى دار مستيتر وبريل في المجاز المرسل وفي الكناية والتشبيه النماذج الأساسية لتغيرات المعنى[٦٩]، ويتمثل هذا المظهر فيما يُعرف بالمجاز، فهناك قواسم مشتركة وعلاقات عامَّة تربط الألفاظ بعضها ببعض، فيلجأ الناس اعتماداً على هذه العلاقات إلى تعدية اللفظ من مجالٍ إلى مجالٍ آخر فتنتقل دلالته، ويتمُّ هذا الانتقال غالباً من الدلالة الحسية إلى الدلالة المجردة؛ لأن الدلالة بدأت بالمحسوسات ثمّ تطورت إلى الدلالات المجردة بتطور العقل الإنساني ورقيه، وأحياناً يكون الانتقال من الدلالة المجردة إلى الحسية[٧٠].

وضح د. فايزة الداية بقوله:" إننا نجد الألفاظ المتطورة في هذا الحيّز ترتبط بالاستعارة ومعنى التشبيه، لأن نقل اللفظ دالاً من مجال إلى آخر إنما يستند إلى

مسوّغات الشبه الشكلي أو الوظيفي بين المجالين، أو بين الجزأين الماديين اللذين تحرك اللفظ بينهما"[٧١]، و"الانتقال من مجال إلى آخر لا يُشترط فيه التقفية على آثار المرحلة الأولى؛ بل يقوم احتمال تعايش الدلالتين إلى جانب احتمال طغيان الدلالة المتطورة على سابقتها"[٧٢].

إن الدلالة الجديدة للفظ كثيراً ما ترتبط بالدلالات التي كانت عليها، والتي انتقل منها عن طريق علاقات المجاز المرسل أو علاقة المشابهة، وهذه العلاقات يعتمد عليها تداعي المعاني في الذهن البشري[٧٣]، بل ذهب د. علي عبد الواحد وافي إلى أن كثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي تؤدي غالباً إلى انقراض معناها الحقيقي، وحلول هذا المعنى المجازي محله[٧٤].

ويعدُّ انتقال الدلالة عن طريق المجاز والاستعارة والتشبيه من" أهم أشكال تغيّر المعنى، أولاً: لتنوعه، وثانياً: لاشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيُّلات. وقد تحدث الكثيرون عن أهمية التخيلات وبخاصة في مجالات الكناية والمجاز والتشبيه"[٧٥].

قال الطغرائيّ:

فَلا صَـــديقَ إليـــهِ مُـــشْتكَى حَـــزَني وَلا أَنِـــيْسَ إليـــهِ مُنتَهَـــى جَـــذَلي

ذكر العكبري أن الصَّدِيق مشتق من الصدق، وسمي بذلك لصدقه في كل ما يقول[٧٦]، وذهب السيوطي إلى أن الصديق هو الرفيق[٧٧].

فسر الصفدي الصديق بأنه الصادق في المودّة والمخالَلة، فالرجل صديق، والمرأة صديقة، واستشهد بالبيت الشعري[٧٨]:

نَصبنَ الهَوى ثمّ ارْتمينَ قُلوبنا بِأعْيُنِ أعْدَاءٍ وهُنَّ صَديقُ

فنجد أن كلمة (الصديق) عند الصفدي فيها تطور واتساع للدلالة وأصبحت تطلق على المرأة، وكانت تطلق على الرجل فقط، لتشمل معناه (الحبيبة) أيضاً، ولعلّ مما يدعم هذا الرأي تفسير الزَّبيدي للصَّدِيق بأنه: الحَبيبُ الـمُصادِقُ لكَ، يُقال ذَلِك للواحِدِ، والجَمْعِ، والمؤَنّثِ، وَمِنْه قولُ الشاعِر:

نصَبْنَ الهَوَى ثمّ ارتَمَيْنَ قُلوبَنا ... بأعْيُنِ أعْداءٍ وهُنّ صَديقُ[٧٩]

في البيت:

أُرِيْـدُ بَـسْطَةَ كَـفٍّ أَسْـتَعِيْنُ بِهـا عَلَـى قَـضَاءِ حُقُـوقٍ للعُـلا قِبَلِـي

ذهب الصفدي إلى أن الشاعر أراد بـ (بَسْطَة كَفٍّ) الغِنَى على سبيل الكناية، لأنّ الغَنِيّ يبسط كفّه بالنفقة[٨٠]، ففي (بَسْطَة كَفّ) تطور دلالي لانتقالها من المعنى الحقيقي لبسط الكفّ إلى بسط الكفّ بالعطاء والنفقة دليلاً على الكرم.

في البيت:

فَادْرَأْ بِهـا فِي نُحُـورِ البِيْـدِ جَافِلَـةً مُعَارِضَـاتٍ مَثَـانِي اللُّجْـمِ بالجَـدَلِ

شرح الصفدي معنى كلمة (نَحْر) بأنه موضع القلادة في الحلق، وأنّه هنا مجاز استعاره للبيد، والدلالة الأولى هي الدلالة المركزية للكلمة، ثم استعمله الشاعر هنا وأطلقه على البيداء[٨١].

فيتبين أن للفظة معنيين معنى حقيقي وهو موضع القلادة، ثمّ انتقلت الدلالة إلى البيد عن طريق المجاز.

في البيت:

تَنَامُ عَنِّـي وَعَـيْنُ الـنَّجْمِ سَـاهِرَةٌ وَتَـسْتَحِيْلُ وَصِـبْغُ الليـلِ لَـم يَحُـلِ

ذكر أبو جمعة أن تشبيه النجم بمن له عينٌ حقيقةً استعارة بالكناية، وإثبات العين له استعارة تخييلية، وأجاز رأياً آخر وهو أنه يريد بعين النجم ذاته[٨٢].

ويتبين أن في إثبات كلمة عين للنجم انتقالاً دلاليًّا من حقل الإنسان إلى حقل الجماد، سواء عن طريق المجاز أو الاستعارة بالكناية.

في البيت:

نؤُمُّ نَاشِـئَةً بـالِجزْعِ قَـدْ سُـقِيَتْ نِـصَالُهَا بِمِيَـاهِ الغُـنْجِ وَالكَحَـلِ

ذكر أبو جمعة في شرحه أن حراس الحي سقوا سيوفهم ونصولها بمياه الغنج والكحل، وهذا فيه كناية عن عظيم غيرتهم وحمايتهم لحِمَى محبوبة الطغرائيّ، ويجوز أن يُراد بالنصال الأعطاف الشبيهة بالسيوف أو العيون الشبيهة بالسهام[٨٣].

وكان هذا التشبيه سبباً رئيساً في وقوع التطور الدلالي في لفظة (السيوف) التي انتقلت للأعطاف، والسهام التي تشبه العيون عن طريق الصورة التي أدَّت إلى تغير من الدلالة الأصلية إلى الدلالة الخاصة، وأضاف أبو جمعة وقال:"ومثله كثير في كلامهم قال الوزير أبو جعفر بن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى:

كأن ألحاظها في قلب عاشقها سيفُ المؤيّد عبدِ المؤمنِ بنِ علي

وقال أبو الشِّيص:

يرمين ألباب الرجال بِأَسْهُمٍ قد راشهن الكُحْل والتهذيبُ

وقال آخر:

بين السيوف وعينيها مشاركة من أجلها قيل للأغماد أجفانُ

وهذا معنى لطيف، مبنيٌّ على تخييل لطيف، قد يقال إن الطغرائيّ لم يقصد سواه، إلا أنَّ الصفدي رحمه الله اقتصر على المعنى الأوَّل فلهذا صدَّرت به، وكون

البيت بياناً لعلّة السير في الليل مبنيٌّ على أن النون للمتكلم وحده، وإنما ذكره بهذه الصيغة على وجه التعظيم، وأمَّا إن حملت النون على أنّها له ولغيره كانت الجملة في محلّ الحال، والمعنى حينئذٍ سرينا آمّين المحبوبة، على أنه لا يمتنع أن تكون استئنافاً على كلا الوجهين، وقوله: "بنصالها" استعارة تصريحية على الوجه الثاني في المعنى، والقرينة إضافتها إلى ضميرها مع ذكر الغنج والكحل بعده، وذكر السقي والمياه ترشيح، و "سُقِيت" على الأول استعارة تبعيَّة، ومياه الغنج والكحل لا يخفى أنه من الاستعارة بالكناية"(٨٤).

استعان الشارح بهذه الأبيات في نقل الدلالة السابقة، فقد أدرك المعاني الثانية وعزّزها بوجود كلمة (الغنج) و(الكحل) في البيت، وهما خاصّان بالنساء، وهذا مما يؤكد أنَّ الشاعر كان يقصد أعين الحبيبة التي كان يذكرها، وليس المعنى الذي ذهب إليه الصفدي.

في البيت:

يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُـبٍّ لا حِـرَاكَ بِهِـمْ وَيَنْحَـرُونَ كِـرَامَ الخَيْـلِ وَالإِبِـلِ

بيّن أبو جمعة معنى القتل بأنه الموت، وفي معنى آخر أنه مزج الشراب بالماء، وهذا فيه معنى عامّ وهو الموت، ومعنى خاصّ بالشراب وهو مزج الشراب بالماء أي تخفيفه(٨٥).

ففي لفظ القتل تطور دلالي ذكره أبو جمعة وهو مزج الشراب بالماء.

في البيت:

وَعَادَةُ النَّـصْلِ أَنْ يَزْهَـى بِجَـوهَرِهِ وَلَـيْسَ يَعْمَـلُ إلا في يَـدَيْ بَطَـلِ

رأى أبو جمعة أن الشاعر ضرب المثل بنفسه كالسيف الصارم لما لديه من العلم بسياسة الأمور والقدرة على تدبير الخاصة والجمهور، لكنّه لم يُولّ ولاية لتظهر محاسنه، ويكون هنا من التشبيه الضمني، وأجاز أبو جمعة وجهاً آخر وهو أن يكون مثلاً على سبيل الاستعارة، والقصر في قوله: " وليس يعمل إلا في يدي بطل" قصرٌ حقيقيّ على سبيل الادّعاء والمبالغة(٨٦).

ويتبين مما سبق أن في أحد الوجهين تطوراً دلالياً لاستعمال (النَّصْل) للدلالة على الطغرائي نفسه.

قال الطغرائيّ:

غَاضَ الوفَاءُ وَفَاضَ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ مَسَافَةُ الخُلْفِ بَينَ القَوْلِ والعَمَلِ

فسّر أبو جمعة دلالة "فاضَ" بأنها لكلّ سائل كالماء إذا طغى فكثر حتى سال من جوانب ما هو فيه، ويدلّ أيضاً على الكثرة في قولهم: فاض الخيرُ فيضاً، أي كثر، ويأتي للدلالة على الموت في قولهم: فاضَ وفاضَت نفسه، إذا مات(٨٧).

من سياق كلام أبي جمعة ما يدلّ على أن الغدر فاض أي كثر وطغى على الوفاء، ولا شكّ أن فيض الغدر وفيض الخير وهو معنى مجرد جاء تطوراً لفيض الماء ونحوه وهو أمر حسيّ.

قال الطغرائيّ:

فَإنْ جَنَحْتَ إلَيْهِ فاتَّخِذْ نَفَقًا في الأَرْضِ أَو سُلَّمًا في الجَوِّ فَاعْتَزِلِ

وضح أبو جمعة معنى كلمة (اعْتَزَل) بمعنى اعتزل الأمر، من: عَزَلَ الشيءَ عَزْلاً فانْعَزَل واعْتَزَلَ، إذا نحّاه جانباً فتنحّى، والمعنى الثاني هو ترك الدخول مع أهل

اليسر لؤماً وشحاً، ومن هذا المعنى: فرقة الـــمُعْتَزِلة أصحاب واصل بن عطاء، سُمّوا لاعتزالهم الحسن البصري(٨٨).

ويتبين من شرح أبي جمعة لمعنى كلمة (اعتزل) أن في اللفظة تطوراً دلالياً، وهو دلالته على ترك الدخول مع أهل اليُسر لؤماً وشُحاً، ومنه تسمية فرقة الـــمُعْتَزِلة، وشيخهم واصل بن عطاء.

وأخيراً أسعى إلى تحديد تكرار الظواهر المعجمية والدلالية لدى كل شارح على حدة، ثمّ ملاحظة وقوع هذه الظواهر للوقوف على ما يطرأ على المعنى المعجمي من غموض وتعدّد ونقص وكثرة احتمال، كما يستقصي المبحث الظواهر الدلالية مثل الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد، ومظاهر التطور الدلالي وأشكاله المتعدّدة، من انحسارٍ وضيقٍ وتوسع، وانتقالٍ من الانحطاط إلى السموّ، أو من السموّ إلى الانحطاط، ويعتمد هذا المبحث على كشف أدوات توظيف المعنى وتفسيره لدى كلّ شارح. وستكون نسبة التكرار بالنظر إلى عدد أبيات القصيدة، لتكون عدداً واضحاً، والقصد من هذه النسبة الموازنة بين النسب لدى الشرّاح لملاحظة تفاوتهم في نسبة الظواهر في شروحهم.

الظواهر المعجمية والدلالية في شروح لامية العجم:

١- نسب تردّد الظواهر المعجمية والدلاليـــة وتكرارهـــا في شـــرح العكـــبري (ت:٦١٦هـــ):

جاءت في شرح العكبري على النحو التالي:

ورد الاشتراك اللفظي (صفر).

ورد الترادف (صفر).

ورد التضادّ (مرة واحدة).

ورد التطور الدلالي (ثلاث مرات).

الشرح – المؤلف– تاريخ الوفاة	الظاهرة الدلالية	مرات الورود	النسبة
شرح العكبري– أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)	الترادف	صفر	صفر%
	الاشتراك	صفر	صفر%
	التضادّ	١	٢%
	التطور الدلالي	٣	٥%
	١– التوسع	٢	٣%
	٢– الضيق	صفر	٠%
	٣– التسامي	صفر	٠%
	٤– الانحطاط	صفر	٠%
	٥– الانتقال	١	٢%

بتأمل نسب ورود الظواهر في شرح العكبري في الجدول السابق يتبين ندرة وقوع بعضها، بل عدم مجيء بعضها مع أنه من شراح القرن السابع، وفيه تلاقح الأفكار والعلوم الأخرى مع العلوم العربية والإسلامية، والحضارة الإسلامية في أوج مجدها.

ومن الظواهر التي لم تقع في شرحه الترادف والاشتراك اللفظي، ووقعت ظاهرة التضاد في شرحه (مرة واحدة).

٢- نسب تردد الظواهر المعجمية والدلالية وتكرارها في شرح الصفدي (ت:٧٦٤هـ) الموسوم بـ"الغَيثُ المُسْجَم في شَرحِ لاميَّة العَجَم ":

رصد المبحث الظواهر المعجمية والدلالية وما يطرأ عليها من تغيير في شرح الصفدي فكان وقوعها على النحو الآتي:

الاشتراك اللفظي وقع (إحدى عشرة مرة).

الترادف وقع (أربع مرات).

التضادّ وقع (مرة واحدة).

التطور الدلالي كان أكثر وروداً فجاء بجميع أنواعه (ثلاث عشرة مرة).

الشرح – المؤلف– تاريخ الوفاة	الظاهرة الدلالية	مرات الورود	النسبة
الغَيثُ المُسْجَم في شَرحِ لاميَّة العَجَم الصفدي (ت:٧٦٤)	الترادف	٤	%٧
	الاشتراك	١١	%١٩
	الأضداد	١	%٢
	التطور الدلالي	١٠	%١٧
	١-التوسع	٣	%٥
	٢-الضيق	صفر	%٠
	٣-التسامي	صفر	%٠
	٤-الانحطاط	٥	%٨
	٥-الانتقال	٢	%٣

وبتأمل الجداول الإحصائية التي أبرزت نسب تـــردد الظـــواهر المعجميـــة والدلالية في شرح الصفدي تبين ندرة وقوع ظاهرة التضادّ في شرح الصفدي فقد وقعت (مرة واحدة) فقط، وقد يدلُّ على أنه يُفضّل الأدوات الأخرى لأن التفسير بالتضاد أسلوب يستعين به أصحاب المعاجم.

واتضح أن ظاهرة الترادف وردت (أربع مرات) عند الصفدي، ولعله يـــدلُّ على اهتمامه بالمعنى وإبعاد صفة الغموض عن المعنى وتفسيره لأن ظاهرة التـــرادف تؤدي إلى غموض في المعنى، ثمّ جاء الاشتراك اللفظي الذي كان من أكثر الظواهر التي وقعت في شرح الصفدي، فقد وقعت (إحدى عشرة مرة)، وهي ظاهرة دلالية معروفة في التراث العربي.

٣- نسب تردد الظواهر المعجميـــة والدلاليـــة وتكرارهـــا في شـــرح أبي جمعـــة (ت:١٠١٦) الموسوم بـــــ"إيضاحُ الـــمُـــبْهَمِ من لاميَّةِ العَجَم":

جاءت الظواهر المعجمية والدلالية لديه على النحو الآتي:

وقع الاشتراك اللفظي (أربع عشرة مرة).

وقع الترادف (مرتين).

وقع الأضداد (أربع مرات)، وتُعدُّ أعلى نسبة من بقية الشراح.

وقع التطور الدلالي (تسع مرات).

الشرح – المؤلف– تاريخ الوفاة	الظاهرة الدلالية	مرات الورود	النسبة
إيضاحُ الـمُـبْهَمِ من لاميَّةِ العَجَمِ– أبو جمعة ت:١٠١٦	الترادف	٢	%
	الاشتراك	١٤	%
	الأضداد	٤	%٧
	التطور الدلالي	١٢	%٢٠
	١– التوسع	٣	%
	٢– الضيق	٣	%٥
	٣– التسامي	صفر	%٠
	٤– الانحطاط	صفر	%٠
	٥– الانتقال	٦	%١٠

بالنظر إلى الجداول يظهر أن ظاهرة التطور الدلالي وردت كثيراً في شرح أبي جمعة الماغوسي؛ وربما يرجع ذلك إلى تطور الحياة في عصره، وكانت الحياة زاخرة بالعلوم والفنون والترجمات والتعريب وعصر الموسوعات والشروح، في حين أن الصفدي كان في القرن الثامن الهجري وكانت الحياة أيضاً متغيرة متطورة تغصُّ بمصطلحات الحضارة والعلوم، فوقع التوسع في شرحي الصفدي وأبي جمعة في (ثلاثة مواضع)، وكان تخصيص الدلالة في شرح أبي جمعة في (ثلاثة مواضع) في حين لم ترد

عند الصفدي في شرحه، ووردت ظاهرة التضادّ في شرح أبي جمعة (أربع مرات)، وهو الشارح الذي اهتم بهذه الظاهرة وكثر وقوعها عنده.

ثمّ كانت ظاهرة الانتقال الدلالي من مجال لآخر لدى أبي جمعة في شرحه حيث ورد (ست مرات)، بينما وقع النقل الدلالي في شرح الصفدي (مرتين فقط)، إلا أن الانخطاط لم يقع عند أي شارح من الشراح إلا الصفدي حيث ورد في شرحه أي الانخطاط الدلالي (خمس مرات)؛ ولعلّ مردّ ذلك تمكنه من الثقافة الفارسية وفكره المذهبي الذي كان يؤمن به حيث كان لديه معجم فارسي لا بأس به ووظفه في تفسير المعنى في كثير من المواضع.

وباستعراض جميع الظواهر عند شراح لامية العَجَم جاءت على النحو التالي:

	العكبري (ت:٦١٦هـ)	الصفدي (ت:٧٦٤هـ)	أبو جمعة (ت:١٠١٦هـ)
الاشتراك اللفظي	صفر	١١	١٤
	صفر%	%	%
الترادف	صفر	٤	٢
	صفر%	%٧	%
الأضداد	١	١	٤
	%٢	%٢	%٧
التطور الدلالي	٥	١٠	١٢
	%	%	%٢٧

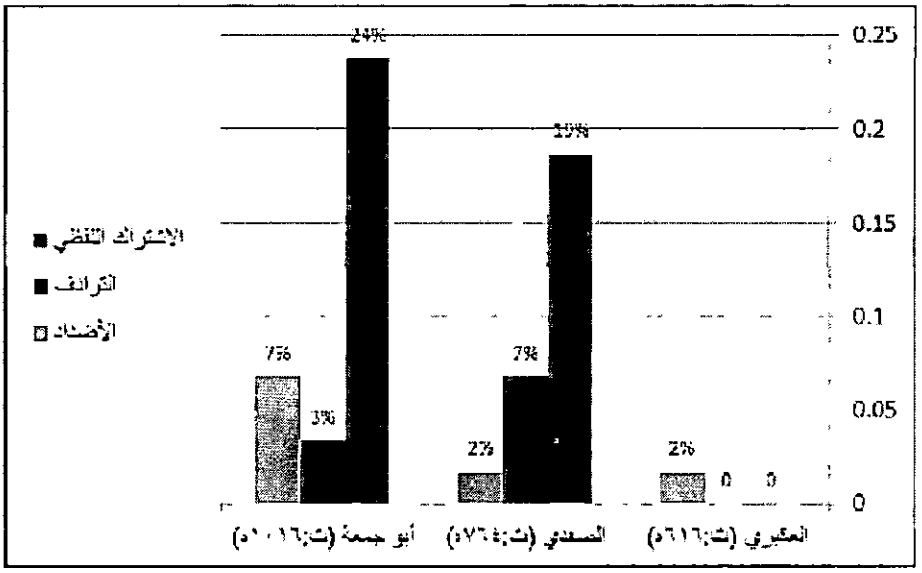

مما سبق يتبين ما يلي:

١- وردت ظاهرة المشترك اللفظي في شرح أبي جمعة (أربع عشرة مرة)، ولم ترد عند العكبري.

٢- وردت ظاهرة الترادف في شرح الصفدي (أربع مرات)، ولم تقع عند العكبري.

٣- وقعت ظاهرة التضادّ في شرح أبي جمعة (أربع مرات)، وكان الأعلى بين جميع شراح اللامية، بينما كانت في شرح العكبري والصفدي مرة واحدة.

٤- جاء التطور الدلالي في شروح لامية العجم بما يتناسب مع ورود الظاهرة، فكان في شرح أبي جمعة الأوفر حظاً فوقعت الظاهرة في شرحه (اثنتي عشرة مرة)، ويليه الصفدي فوقعت (عشر مرات)، وكانت الأقل وروداً في شرح

العكبري فوقعت (ثلاث مرات) فقط.

والجدول الآتي يوضح وقوع ظاهرة التطور الدلالي بأنواعه المتعددة في شروح لامية العجم:

	العكبري (ت:٦١٦هـ)	الصفدي (ت:٧٦٤هـ)	أبو جمعة (ت:١٠١٦هـ)
توسع	٢	٣	٣
	٣%	%	%
ضيق	صفر	صفر	٣
	٠%	٠%	٥%
تسامي	صفر	صفر	صفر
	٠%	٠%	٠%
انحطاط	صفر	٥	صفر
	٠%	٨%	٠%
انتقال	١	٢	٦
	%	%	%
مجموع التطور الدلالي	٣	١٠	١٢
	٥%	١٧%	٢٠%

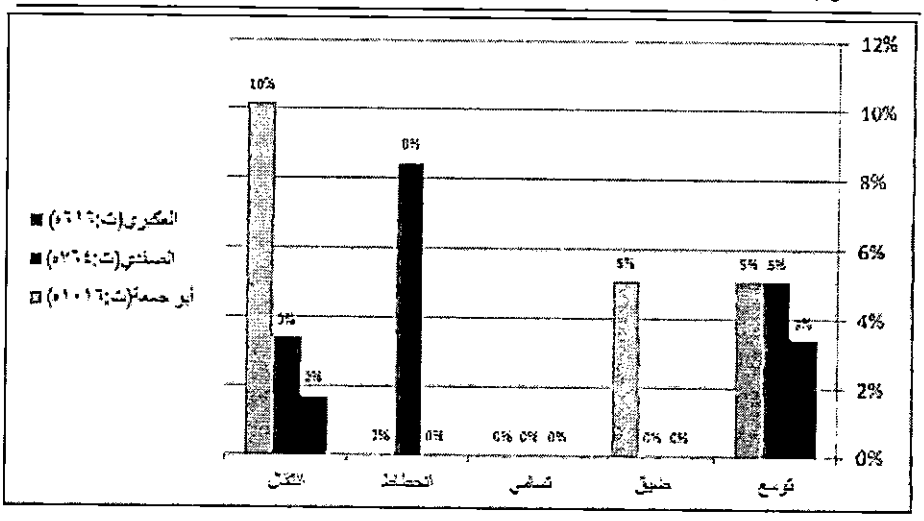

جاء التطور الدلالي عند العكبري (ثلاث مرات) فقط، جاء عن طريق الانتقال مرة واحدة، وعن طريق التوسع مرتين أيضاً.

أما شرح الصفدي فوقع التطور الدلالي في (عشرة موضعاً): منها (مرتين) عن طريق الانتقال، وعن طريق التوسع (ثلاث مرات) أيضاً، ووقع الانحطاط الدلالي في شرحه في (خمسة مواضع).

وجاء التطور الدلالي في شرح أبي جمعة في (اثني عشر موضعاً)، وقع عن طريق الانتقال (ست مرات)، في حين توسعت الدلالة في (ثلاثة مواضع)، وجاء ضيق الدلالة في (ثلاثة مواضع).

الجداول الإحصائية الراصدة لمرات وقوع الظواهر المعجمية وتكرارها في شروح لاميَّة العَجَم بناء على ما ورد بالجداول وفق معيار المساحة:

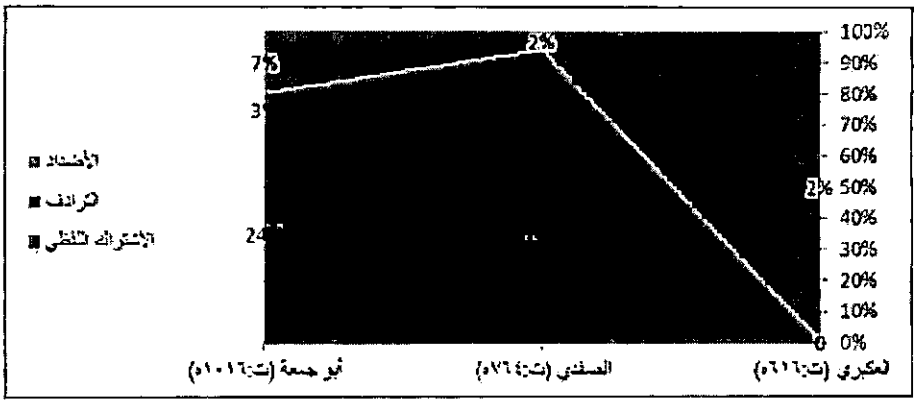

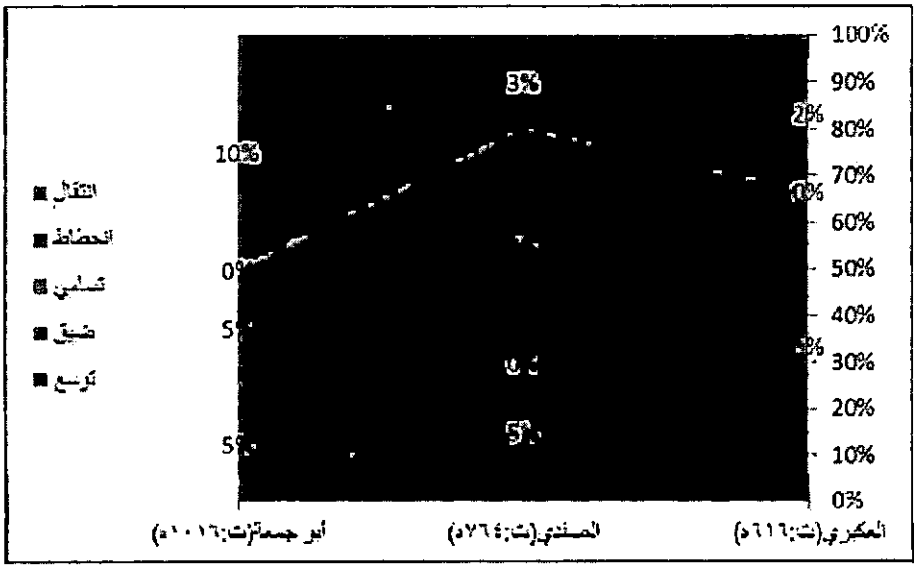

ويخلص المبحث إلى أن تطور أداء الشراح في شرح اللاميَّة يتأثّر بتطور العصر، ويتوقف على العوامل الآتية:

١- ثقافة الشارح.

٢- المستوى اللُّغوي لدى الشارح وتمكنه.

٣- المستوى البلاغي لدى الشارح.

٤- استعانة الشارح بالعلوم الأخرى في وضوح المعنى وتحديده.

الخاتمة والنتائج

ظهر في البحث أنّ الغالب الأعمّ في وقوع ظاهرة التطور الدلالي إنما كان عن طريق انتقال الدلالة في المجاز المرسل، وكان له النصيب الأعلى في وقوع التطور الدلالي، ثمّ يليه انتقال الدلالة عن طريق الاستعارات بأنواعها تصريحية وتمثيلية ومكنية، وكذا التشبيه والكناية، كما تأكّد أن حدوث التغيير في معنى الكلمة بالتضييق أو التوسّع أو التسامي أو الانحطاط يتوقف على الاستعمال والسياق المستعملة فيه.

يُعدُّ " الغَيث المُسْجَم في شَرحِ لاميَّة العَجَم " للصَّفَدي من أهم الشروح التي شرحت لاميَّة العَجَم واعتنت بها، ويتسم بالموسوعية وتمكّن صاحبه من العلوم الأخرى، مع ما له من ضلوعٍ في اللُّغة وعلومها المختلفة وعلوم عصره، فقد كان مُلمّاً بالفقه والتفسير والقراءات والحديث والعقيدة وعلوم اللُّغة وعلوم القرآن، وعلم الكلام والفلسفة وكان على دراية واسعة بما يدور حوله من مسائل في العلم والسياسة وغير ذلك، وانعكس ذلك جلياً على تناوله قضايا اللُّغة والمعنى في شرح لامية العَجَم.

خلص البحث إلى أن الصَّفَدي أدرك كثيراً من الظواهر المعجمية والدلالية، وساعده في ذلك سعة اطلاعه في عصره الزاخر بالعلوم، فقد بلغت الحضارة العربية والإسلامية أوج ازدهارها، فكثرت في شرحِه ظواهر الاشتراك اللفظي والترادف والتضادّ، وظواهر التطور الدلالي بأنواعه المختلفة، خاصّة التي جاءت بالانتقال عن طريق الاستعارات والمجازات والتشبيهات، وكانت أبرز ظاهرة دلالية لديه انحطاط الدلالة في كثيرٍ من المواضع.

واتضح من الدراسة تطور أداء الشراح وتفاوتهم من عصرٍ لعصرٍ، وذلك يتوقف على ثقافة الشارح وعلى تمكنه من اللُّغة في مستوياتها النحوية والبلاغية، وتوظيف الشارح العلوم الأخرى في توضيح المعنى وتحديده.

وفيما يلي أذكر ما أرى أهميته من توصيات جاءت نتيجة لدراستي في هذا البحث:

الاهتمام بدراسة الظواهر المعجمية والدلالية لشراح الأدب العربي بصفة عامة، على أن تكون هذه الشروح متبوعة بجداول إحصائية يمكن حوسبتها مستقبلا في الحاسب الآلي.

دراسة شروح القصائد ذات الشهرة الواسعة، دراسة لغوية مستقلة؛ وذلك للوقوف على التطور الدلالي للألفاظ والتراكيب، ومراعاة اختلاف البيئة والعوامل الثقافية.

وجمع البحث بين جانبين من الدرس الجانب التطبيقي المتمثل في تحليل الظواهر والكشف عن الظواهر والجانب التطبيقي المتمثل في الإحصاء ورصد نسب التردد في جداول الإحصاء ورسوم بيانية محددة الظواهر المعجمية والدلالية والتطور الدلالي

قائمة المصادر والمراجع

١. إيضاح الـــمُبهم من لامية العجم، لأبي جمعة سعيد الماغوسي، من أعلام القرن الحادي عشر هجري، تح: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط١ ٢٠٠٩م.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـــ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٣. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم– عودة خليل أبو ناصر، عودة خليل أبو ناصر، ص ٥٣، مكتبة المنار. الأردن. ط ١، ١٤٠٥هـــ – ١٩٨٥م.

٤. دلالة الألفاظ– إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٥. دور الكلمة في اللُّغة، استيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٦م.

٦. شرح لامية العجم– جلال الدين السيوطي، ودققه: أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة.

٧. شرح لامية العجم، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تح: د. محمود محمد العامودي، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول،٢٠٠٢م.

٨. الطُّغرائيّ – حياته، شعره، لاميته، د. علي جواد طاهر، بحث وتحقيق وتحليل، ط ببغداد ١٩٦٣م.

٩. العربية والغموض–دراسة لغوية في دلالة المبني على المعني د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية– الإسكندرية.

١٠. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق- د. فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١١. علم الدلالة- بييرو جيرو، ترجمة: منذر عياش، ط ١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

١٢. علم الدلالة- د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٧، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٣. علم الدلالة- دراسة نظرية تطبيقية، د. فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٤. علم اللغة- علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، فبراير ٢٠٠٠م.

١٥. الغيث المسجم في شرح لامية العجم، لأبي الصفا صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، تح: د. صلاح الدين الهوَّاري، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٩م-١٤٣٠ه.

١٦. في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، د. عبد الكريم محمد حسن جبل، كلية الآداب، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٧. كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٨. الكتاب سيبويه، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨-١٩٨٨م.

١٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٠. المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها- السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨-١٩٩٨م.

٢١. معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك، فرنسي، إنجليزي، عربي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٢. نشر العَلَم في شرح لامية العجم، محمد بن عمر بن مبارك الحضرمّي الشَّافعي، الشهير ب(بحرق)، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م.

٢٣. وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس، ط١، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٣م.

الهوامش

(١) ينظر: الطغرائيّ – حياته وشعره علي جواد طاهر١١١-١١٥ ويذكر:" أن الطغرائي عربي وليس للعجمة أثر فيه".

(٢) ينظر: الغَيثُ المُسْجَم في شَرحِ لاميَّة العَجَم- الصفدي ١٢٧/١.

(٣) السابق ٧٧/٢.

(٤) شرح لاميَّة العَجَم العكبري ص ٢٢٤.

(٥) ينظر: العربية والغموض-دراسة لغوية في دلالة المبني على المعني د. حلمي خليل ص١٢١.

(٦) ينظر: دور الكلمة في اللُّغة استيفن أولمان ترجمة د. كمال بشر ص ١١٩.

(٧) الكتاب سيبويه ٢٤/١ تح: عبدالسلام هارون.

(٨) ينظر: المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها- السيوطي٣٠٥/١.

(٩) شرح لامية العجم- السيوطي ١١.

(١٠) الدلالة المركزية هي: الدلالة التي يشترك الناس في فهمها فيسجلها اللغوي في معجمه. ينظر: دلالة الألفاظ- إبراهيم أنيس ص ١٠٦، والدلالة الهامشية هي: تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه من آبائهم وأجدادهم. ينظر: دلالة الألفاظ ص ١٠٧، ويعدُّ إبراهيم أنيس أول من استخدم مصطلحي: الدلالة المركزية والدلالة الهامشية، وخصص بحثاً للحديث عنهما.ينظر: وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى- محمد محمد يونس ص ١٥٥.

(١١) ينظر: الغيث المسجم ٣٥٨/١ .

(١٢) ينظر: السابق ٢٨/٢.

(١٣) ينظر: السابق ٢٨/٢.

(١٤) السابق ٤٣/٢.

(١٥) ينظر: السابق ٢ /٢٢٨.

(١٦) ينظر: السابق ٣١٦/٢.

(١٧) ينظر: إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ٢٩٥.

(١٨) ينظر: الغيث المسجم ٣٣١/٢.

(١٩) ينظر: إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ١٧٥.

(٢٠) ينظر: السابق ص ١٧٨.

(٢١) السابق ص ١٧٨.

(٢٢) ينظر: السابق ص ١٨٣.

(٢٣) ينظر: إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ٢١٩.

(٢٤) ينظر: السابق ص ٢٢٧.

(٢٥) ينظر: السابق ص ٢٧١.

(٢٦) ينظر: السابق ص٩٠-٩١.

(٢٧) والخَطَل: الْكَلَامُ الْفَاسِدُ الْكَثِيرُ الْمُضْطَرِبُ خَطِلَ خَطَلًا فَهُوَ أَخْطَلُ وخَطِلٌ. الهُراء المَنْطِق الْفَاسِدُ. ينظر: لسان العرب ٢٠٩/١١.

(٢٨) ينظر: الغيث المُسْجَم ٥/٢.

(٢٩) ينظر: السابق ٣٦٢/٢.

(٣٠) ينظر: السابق ٧٥/٢.

(٣١) ينظر: السابق ٢٢٩/٢.

(٣٢) ينظر: إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ١٧٥.

(٣٣) ينظر: السابق ص ٢٦٥.

(٣٤) ينظر: السابق ص ٣١٩.

(٣٥) ينظر: الغيث المُسْجَم ٢٩/٢.

(٣٦) إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ٢٩٥.

(٣٧) ينظر: السابق ص ٣٠٦.

(٣٨) ينظر: السابق ص ٣٠٣.

(٣٩) ينظر: الغيث المُسْجَم ٥/٢.

(٤٠) ينظر: السابق ٢٢٨/٢.

(٤١) ينظر: السابق ٢٣٠/٢.

(٤٢) إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ٢٧١.

(٤٣) السابق ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٤٤) ينظر: شرح لامية العجم- العكبري ص ٢١٤.

(٤٥) ينظر: الغيث المُسْجَم ٣٣٧/١.

(٤٦) ينظر: إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ١٥٧.

(٤٧) ينظر: الغيث المُسْجَم ١٩٧/٢.

(٤٨) ينظر: إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ٢٦٨.

(٤٩) ينظر: السابق ص١٠١.

(٥٠) ينظر: السابق ص ١٩٧.

(٥١) ينظر: السابق ص ٣١٦.

(٥٢) ينظر: في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات- د. عبد الكريم محمد حسن جبل ص٤٠.

(٥٣) ينظر: شرح لامية العجم- العكبري ص٢٠٨.

(٥٤) ينظر: الغيث المُسْجَم ١٤٩/١.

(٥٥) ينظر: شرح لامية العجم- السيوطي ص٥.

(٥٦) ينظر: نشر العلم في شرح لامية العجم- الحضرمي ص٨٩.

(٥٧) ينظر: الغيث المُسْجَم ٣٩٧/١.

(٥٨) العين- الخليل بن أحمد ٣٠١/٧.

(٥٩) إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ١٧٨.

(٦٠) ينظر: شرح لامية العجم- العكبري ص ٢٠٩.

(٦١) ينظر: الغيث المُسْجَم ١٨٣/١.

(٦٢) ينظر: إيضاح المبهم- أبو جمعة ص ١٥٣.

(٦٣) السابق ص ٢٧٤.

(٦٤) شرح لامية العجم- السيوطي ص ١١.

(٦٥) معجم المصطلحات الألسنية- مبارك ص ٢٨٥.

(٦٦) ينظر: دلالة الألفاظ– إبراهيم أنيس ص١٦٠.

(٦٧) ينظر: علم الدلالة– د. أحمد مختار عمر ص ٢٤٧.

(٦٨) ينظر: دور الكلمة في اللُّغة– ستيفن أولمان ص١٨١.

(٦٩) ينظر: علم الدلالة– بيير جيرو ص٧٦.

(٧٠) ينظر: دلالة الألفاظ– إبراهيم أنيس ص ١٦١.

(٧١) ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق– د. فايز الداية ص٢٨٢.

(٧٢) ينظر: السابق ص ٣١٥.

(٧٣) ينظر: علم الدلالة– د. فريد عوض حيدر ص ٧٣–٧٤.

(٧٤) ينظر: علم اللغة– علي عبد الواحد وافي ص٣٢١، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم– عودة خليل أبو ناصر ص٥٣.

(٧٥) علم الدلالة– د. أحمد مختار عمر ص٢٤٩.

(٧٦) ينظر: شرح لامية العجم– العكبري ص٢٠٨.

(٧٧) ينظر: شرح لامية العجم– السيوطي ص ٥.

(٧٨) ينظر: الغيث المُسْجَم ١/١٧٠.

(٧٩) ينظر: تاج العروس (صدق).

(٨٠) ينظر: الغيث المُسْجَم ١/٢٤٢.

(٨١) ينظر: السابق ٢/٧٥.

(٨٢) ينظر: إيضاح المبهم– أبو جمعة ص١٦١.

(٨٣) ينظر: السابق ص١٨٣.

(٨٤) السابق ص ١٨٤.

(٨٥) ينظر: السابق ص ١٩٢.

(٨٦) ينظر: السابق ص ٢٦١.

(٨٧) ينظر: السابق ص ٢٩٥.

(٨٨) ينظر: السابق ص ٢١٩.